من نفحات سيدي أبي الطيب رضي الله عنه

وصية الشيخ إلى مريده

القاهرة في صفر الخير سنة ١٣٦٥ هـ

حضرة المحترم ابننا العزيز صابر إسماعيل المصري السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ، وبعد...

فإليك أسطر هذه النصيحة استجابة لنداء باطني تكرر كثيراً ، آملاً أن تمعن فيها النظر وأن تكون منك دائماً على ذكر، والله المرجو أن يشرح صدرك لها ، ويملأ قلبك بها ، ويوفقك إلى الانتفاع بها إنه سميع قريب.

أي بني ... من المأثور عن الصادق المصدوق ﷺ أنه قال : ﴿ **الْكَيِّسُ مَنْ دَانَ نَفْسَهُ وَعَمِلَ لِمَا بَعْدَ الْمَوْتِ ، وَالْعَاجِزُ مَنْ أَتْبَعَ نَفْسَهُ هَوَاهَا وَتَمَنَّىٰ عَلَىَ اللَّهِ الْأَمَانِيِّ** ﴾ وعن عبد العزيز بن أبي رواد قال : رأيت رسول الله ﷺ في المنام فقلت : يا رسول الله أوصني، فقال : ﴿**مِنْ أَسْتَوَى يَوْمَاهُ فَهُوَ مَغْبُوْنٌ ، وَمَنْ كَانَ يَوْمُهُ شَرّاً مِنْ أَمْسِهِ فَهُوَ مَلْعُوْنٌ** ﴾.

من هنا كان كلام الصوفية : ﴿ **مَنْ لَمْ يَكُنْ فِيْ زِيَادَةٍ فَهُوَ فِيْ نُقْصَانٌ ، وَمَنْ كَانَ فِيْ نُقْصَانٌ فَهُوَ فِيْ** ﴾؛ وكثيراً ما سمعت من أستاذنا[1] رضي الله عنه ما معناه : ﴿ **إِنَّ هَوَاتِفُ الْحَقِّ تَنَادَىْ الْمُرِيْدِ دَائِمَا ، وَذَلِكَ كُلَّمَا قَطِعَ مِنْ الطَّرِيْقِ مَرْحَلَةٍ ، أَوَ مُنَحَ مِنْهَا نَفْحَةٌ تناديه .الْمَقْصُوْدُ أَمَامَكَ إِنَّمَا فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ** ﴾.

أقول لك ذلك يا بني لأنك الآن في مرحلة من السير كلها خطورة ، والأمر بعدها إما فتح وعطاء وإحسان، وإما تراجع ونكوص وحرمان ، حفظنا الله وإياك ؛

---

(١) المقصود بالأستاذ هنا هو سيدنا الشيخ/ عبد الجواد الدومي.

لا سيما والمركز الذي تتمع به الآن بين أخوانك مما يضاعف الخطر على غير اليقظ المتنبه ، ويمكن لنفسه وشيطانه من نصب الفخاخ له ، وإقامة العراقيل في طريقه ، وإيهامه أنه شيء وهو في الحقيقة ليس بشيء ، ونعوذ به سبحانه من الغرور ، وإنما دواؤك يا بني فيك ، وداؤك منك ، وسلاحك في متناول يدك ، فإن شئت تقلدته وحرصت عليه ، فصنت حالك وأرهبت عدوك وذلك (ما أرجوه لك) ، وإن شئت أهملته وأمكنت منك خصمك وعندئذ لا يعلم إلا الله ماذا تكون النتيجة ، وإنما دواؤك الآن في هذه الثلاثة ، إن استمسكت بحبلها فأرجو لك الخير كل الخير وإن تهاوت في ذلك فأمري وأمرك إلى الله.

وأول هذه الثلاثة: أن قطع الأسماء ليس هو الوصول ، ولا غاية المأمول ، إنما هو باب فتح ، فإن واصل المريد جهاده ، ولم يركن إلى موقفه وَلَجَ وتمتع بما أُعِدَ لأمثاله ، وإن فترت همته ، وضعفت عزيمته فالنتيجة ضده على خط مستقيم ، وقد رأينا أستاذنا ﷺ، وقد أعطاه الله ما أعطاه يحرص على أوراده ، كما كان يحرص عليها في ابتداء أمره ، بل ربما أكثر ومن ثم فعليك بالنشاط ، ومضاعفة الهمة والإكثار من ذكر الله عز وجل ، ونوافل الخيرات وأن تأخذ نفسك بالعزيمة في شئونك المتعلقة بالسير والسلوك بحيث لا تلجأ إلى الرخصة إلا مضطراً.

ومن كلام بعض العارفين ﴿ **مَنْ لَمْ تَكُنْ لَهُ بِدَايَةٌ مُحْرَقَةٌ لَمْ تَكُنْ لَهُ نِهَايَةٌ مُشْرِقَةً** ﴾ ، والحذر حذر من أن ترى لنفسك على واحد من إخوانك فضلاً فإن هذا الشعور يرد صاحبه إلى الوراء ، بعد التقدم وعليك بالرفق بهم في المعاملة فإن الشدة تفسد.

ثانيها: أن يكون لك في كل يوم وليلة وقت تقارن فيه بين ماضيك وحاضرك ، وتعارض فيه نفسك وما تعلمه من أحوالها وخصالها على ما ذكره مولانا الدردير في رسالته ، من الأخلاق وآداب السير والسلوك ، ولا أقصد بالسير القراءة والإطلاع كلا بل أقصد: تفقد النفس والمقارنة بين المدون في الرسالة وبين ما تعرفه من حالها أدباً أدباً ، وخلقاً خلقاً مع التدقيق والأناة ، حتى إذا ما رأيت عيباً أو نقصاً أَعْمَلْتَ جواد

الهمة في القضاء عليه واستئصاله وإبداله بغيره من محامد الخصال والآداب ، وستجد بعض المتاعب في هذا السبيل ولكن العاقبة للمتقين ، وكم يسرني أن ألمس أثر هذه المجاهدة وأحس بها في حديثك أو مكاتباتك، ويهمني أن أقول لك : أن اتهام النفس بالنقص دائماً، وعدم الاطمئنان إليها هو سجية السالكين ، بل هو مبدأ مقرر عند المشرفين على الوصول، وهو يعد أقرب طريق للوصول، قال أبو يزيد ﷺ : ﴿ **رَأَيْتُ رَبَّ الْعِزَّةْ فِيْ النَّوْمِ فَقُلْتُ : أَيْ رَبِّ ماطَرِيقِ الْوُصُوْلُ إِلَيْكَ فَقَالَ "خِلِّ نَفْسَكَ وَتَعَالَ" تَخْلُ عَنْ أَوْصَافِهَا الْذَّمِيْمَةِ تَصَلِّ إِلَيَّ** ﴾ أي تخلي عن أوصافها الذميمة تصل إليّ، أما الانتصار لها واستحسان أعمالها فهو نذير الفشل وباب الهلاك ، والعياذ بالله، وعليك أن تتضرع إلى ربك دائماً في صلواتك أن يكشف لك من عيوب نفسك ما خفى عنك ، وأن يلهمك طريق الشفاء منها.

ثالثها: أن تمرن نفسك على مراقبة الله تعالى في جميع أعمالك وأقوالك وتجعل فؤادك دائماً يشعر إن الله تعالى مطلع عليك أينما كنت وحيثما كنت ، ولست أقصد من كلامي الاعتقاد بهذا ، فكل الناس يعتقد أن الله مطلع عليه ، ولكني أقصد الإحساس المستمر بهذا ، الذي يحقق للمؤمن مقام الإحسان ، وتكون النفس فيه منساقة إلى هذا الشعور بسهولة ودون معاناة ، أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولك ، وأسأله أن يسلك بك سبيل أحبابه الذين ﷺ ورضوا عنه.

الفقير إلى الله

محمد سليمان سليمان

من مجلة النجم الثاقب - طهطا